فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية، دراسات حديثة في نهج البلاغة، السنة الثالثة، العدد الأول (المتوالي ٥) خريف وشتاء ١٣٩٨ش/ ١٤٤١ق، من صفحة ٥٥ الى ٦٩

Biannual Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 3, No. 1, Fall & Winter 2019; (Issue 5). pp.55-69

التحليل اللغوي للدعاء في *نهج‌البلاغة* من منظور علم اللغة الاجتماعي

أحمد ربانی‌خواه[١]، محمدهادي أمين ناجي[٢]، مصطفى دلشاد طهراني[٣]

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/١٢/٠٥ تأريخ القبول: ١٤٤٠/٠٩/٠٥

١. طالب دكتوراه وعضو هيئة التدريس في جامعة بيام نور بطهران، ايران (الكاتب المسؤول)؛ rabbani_kh@pnu.ac.ir
٢. أستاذ مشارك في جامعة بيام نور بطهران، ايران؛ ma_najee@pnu.ac.ir
٣. أستاذ مساعد في جامعة القرآن والحديث بطهران، ايران؛ delshadtehrani@gmail.com

Linguistic Analysis of Prayer in *Nahj al-Balaghah* from the Social Linguistics point of view

Ahmad Rabbanikhah[1], Mohammad Hadi Aminnaji[2], Mostafa Delshad Tehrani[3]

Received: 17 August 2018 Accepted: 11 May 2019

1. Ph. D. Student ofPayame Noor University, Tehran, Iran (Corresponding Author); rabbani_kh@pnu.ac.ir
2. Associate Professor of Payame Noor University, Tehran, Iran; ma_najee@pnu.ac.ir
3. Assistant Professor of Quran and Hadith University, Tehran, Iran; delshadtehrani@gmail.com

الملخص

إن التعاليم العقائدية *لنهج‌البلاغة* هی مفاهيم معرفية قيّمة وعميقة من هذا الكتاب. ويمكن أن يساعد تحليل هذه المفاهيم والمقولات وشرح أوجه التشابه والتعبير عن الاختلافات اللغوية بينها وبين غيرها من مفاهيم *نهج‌البلاغة* للحصول على فهم مؤثر للتعاليم العلوية. فتقدم هذه الدراسة من خلال النظر في أنواع اللغات المختلفة من منظور اللسانيات الاجتماعية، تعريفًا شاملًا "للغة العرفية" و "اللغة المجازية" محاولة الإجابة على هذا السؤال: "هل لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* عرفية أم مجازية؟" من خلال استخدام منهج البحث الوصفی التحليلی واستخدام موارد المكتبات في مجال اللغويات والاستشهاد بتعاليم أمير المؤمنين (ع) في *نهج‌البلاغة* لنثبت أن لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* مجازية. ومع الوصف الصحيح للغة *نهج‌البلاغة* في الدعاء المناجاة فنلاحظ أن "اليقين والحقيقة" و"التعبير الفطري" و"التعبير عن المشاعر والعواطف" و"نقاء اللغة وانسجامها" و"المتعة والسرور" هی من الميزات البارزة للغة الدعاء في *نهج‌البلاغة*.

الكلمات الدليلية: اللغة العرفية، اللغة المجازية، الأدعية المأثورة، *نهج‌البلاغة*، علم اللغة الاجتماعي.

Abstract

Nahj al-Balaghah prayer phrases are the profound propositions of this precious book. Analyzing these phrases, explaining their similarities and expressing the linguistic differences between these teachings and other phrases of the *Nahj al-Balaghah* can help in the effective understanding of Alavi teachings. The present research, while looking at a variety of languages from the perspective of social linguistics, provides a comprehensive definition of "common language" and "metaphorical language" by proposing this question: "Is the language of prayer in the *Nahj-ul-Balaghah* a common or transitive language?" and by prove the transcendence of the language of prayer in *Nahj al-Balaghah* descriptive and analytical method and using library resources in the domain of linguistics and the reference to the teachings of the *Nahj al-Balaghah*. This study also intoduses "certainty and truthfulness", "innate expression", "displaying affection and feeling," "the purity of language," and "pleasure-appeasement," from significant features of the language of prayer in *Nahj al-Balaghah* by describing the language of prayer *Nahj al-Balagha*.

Keywords: Common Language, Transcendence, Narrative Claim, *Nahj al-Balaghah*, Social Linguistics.

المقدمة

اللغة هي أول وأهم وسيلة للتواصل الاجتماعي ونقل المفاهيم ومن المنظور الديني؛ اللغة هي وسيط تخفي فيه التقاليد نفسها وتنتقل عبره (بالمر، ١٩٩٨: ٢٢٩) ومن الخطوات المهمة في فهم النصوص الدينية وتحليل وتفسير الأدعية الواردة من الأئمة المعصومين (ع) هي معالجة لغة الحديث في هذا المجال. اللغة ليست كتلة من الأصوات والعلامات المضطربة بل إنها شبكة منهجية ومتشابكة من الطبقات والعلاقات. وفي *نهج‌البلاغة*، اللغة هي حجاب أسرار الروح والنفس. ومرآة تعكس الذات الباطنية لشخصية الإنسان ووجهات نظره: «الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.» (الحكمتان ١٤٨ و٣٩٢) ويعتبر الإمام علي (ع) أن اللسان واللغة من أهم عوامل ارتقاء الإنسان وتطوره: «وَ إِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَ الْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَ الْأَقْدَامِ.» (الحكمة ٤٢)

لقد اتبع الإمام علي (ع) مفهوم التفاهم والحوار مع مجتمعه في التعبير عن خطبه والإشارة إلى حكمه وكتابة رسائله في كتاب *نهج‌البلاغة*. فإن العثور على القواعد التي تحكم الحوار في زمن إصدار *نهج‌البلاغة* وامتثالها لمفاهيم ومقولات *نهج‌البلاغة* أو العثور على حالات تخالف قانون *نهج‌البلاغة* يمكن أن يغير تفسير وتحليل نص *نهج‌البلاغة*.

ومع ذلك، لا يمكن اعتبار لغة *نهج‌البلاغة* لغة عرفية عامة حيث توجد حالات في *نهج‌البلاغة* تستخدم لغة دقيقة أو علمية أو مجازية. وأما للدعاء والمناجاة في جميع الأديان والمعتقدات المقدسة لغة مختلفة عن التعاليم الأخرى. بما أن الصلاة هي حلقة وصل بين الملك والملكوت ورسالة من الفرش إلى العرش وتنشأ من أصل فطري نقي فإن الطريقة التي يتم التعبير عنها بها ستكون مختلفة عن التعاليم والأفكار الأخرى. وهذه الاختلافات هي التي تؤدي إلى رفع العابد والمناجي إلى مرتبة عالية:

إذا أزيل الحجاب بين الملك والملكوت

فسوف يدرك الإنسان أسرار الوجود

(حافظ، ١٣٧٩: الغزل ١٩٢)

ويوفر الاختلاف بين موقف الداعي والحالات الروحية والفطرية الظروف الملائمة لمعرفة التجليات العرفية اليومية للمحادثات العامة حتى لا تؤثر على لغة الدعاء. ويتطلب الدعاء الصادق والإخلاص والتفرد الكامن في محتوياته أن تكون له مكونات وخصائص فريدة ومتميزة عن اللغات والتعابير الأخرى.

١. أسئلة البحث وفرضياته

السؤال الأكثر أهمية في هذه الدراسة هو "هل تعتبر لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* عرفية أم مجازية؟" لا شك أن هذا السؤال تعقبه الأسئلة التالية:

١. ما هي بعض ملامح لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* والتي تجعلها متميزة عن غيرها من التعابير؟

٢. كيف يمكن تحليل لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* وتقييمها؟

رغم أن أمير المؤمنين (ع) قد استخدم في معظم المفاهيم الواردة في "*نهج‌البلاغة*" مفردات الجمهور المستهدف في وقت الإصدار واتبع قواعد قواعد اللغة العربية الشائعة، لكن بالنسبة للغة الصلاة فلا يمكن أن نقبل أنها لغة عرفية وعادية بشكل شامل. واعتمد أمير المؤمنين (ع) في بعض الحالات مثل المواضيع التوحيدية والأسماء والإلهية والأدعية والأذكار والقضايا الفكرية والفلسفية المعقدة وبعض الموضوعات العلمية مثل خلق الجنة والأرض وخلق الملائكة وموضوعات كهذه على لغة علمية ودقيقة مجازية تستخدم في مجالات خاصة من اللغة.

الفرضية الرئيسية للدراسة هي أن "لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* لغة مجازية". ومع ذلك، تسعى الدراسة الحالية إلى إثبات الفرضيات التالية:

١. لغة الدعاء هي تعبر عن حاجات الفرد الداخلية وتتناغم مع فطرته وطبيعته؛ وبالتالي فإن "اليقين والحقيقة" و"التعبير الفطري" و"التعبير عن المشاعر والعواطف" و"نقاء اللغة وانسجامها" و"المتعة والسرور" هي من الميزات البارزة في لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة*، مما يجعل هذه اللغة تتجاوز المستوى العرفي إلى المستوى المجازي.

٢. يتم تحليل لغة الدعاء وتقييمها بشكل أكبر من خلال تحليل الحالات الروحية والفطرية للداعي ومواطن الاحتياجات والرؤى المعرفية له وهي غير مفهومة جيدًا بالمعايير التي تحكم اللغة والتعبير اليومي للجماهير.

٢. خلفية البحث

أجريت لغاية الآن أبحاث حول الأدعية المأثورة والتحليل اللغوي لبعض الأدعية المنسوبة إلى الأئمة المعصومين (ع) نذكر على سبيل المثال يتطرق سلمان‌پور (٢٠٠٥) في بحث بعنوان «تحليل لغة الدعاء» لبعض مجالات لغة الأدعية. كما يتطرق هو نفسه (٢٠٠٥) في بحث آخر بعنوان «نشر ثقافة الإمام السجاد (ع) بلغة الأدعية» لهذا الموضوع في كتاب بلغة الدعاء في الصحيفة السجادية (٢٠١٣) كما قام آخرون بتحليل هذه اللغة من خلال مقارنة لغة الدعاء ولغة التصوف (روحاني‌نجاد، ٢٠٠٩) وقام بعض آخر بدراسة موضوع الصلاة من منظور بعض الشخصيات الدينية والأدبية. (علمي، ٢٠٠٩) لكن أيًا من الباحثين لم يتناول التحليل اللغوي لأدعية *نهج‌البلاغة* قام معظم الباحثين في مجال *نهج‌البلاغة* بتقييم القضايا الأدبية واللغوية الأخرى فيه. وبالتالي، فإن هذه الدراسة هي الخطوة الأولى في تقييم وتحليل لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* وتسعى إلى دراسة القدرات اللغوية وخصائص هذا العمل الثمين في مجال الدعاء والمناجاة.

الأنواع اللغوية من منظور اللسانيات الاجتماعية

يتشكل الوجود الإنساني في سياق المجتمع ويتطلب العيش في المجتمع التعايش بين البشر. اللغة ظاهرة اجتماعية والكاتب والقارئ يتمتعان بمكانة تاريخية واجتماعية حيث الظواهر اللغوية وتطورها يحدثان أيضًا في سياق المجتمع والمفردات اللغوية وهي نتيجة للتطور الاجتماعي الذي أصبح في عمليته التطورية منفصلًا عن اعتماده على النشاط العلمي وأصبح مستقلًا بشكل نظامي. (روليا، ١٩٩٧، ٨٧)

الاختلاف في اللغة والكلام هو أحد الاختلافات الشائعة في المجتمعات البشرية. وبالإشارة إلى هذه الحقيقة الاجتماعية، فإن القرآن الكريم يذكرها كدليل على الخلق الإلهي الرائع: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (الروم/٢٢) فتشير هذه الآية الكريمة إلى تنوع اللغة واللون والعرق. والفرق في اللغة البشرية هو الفرق في الكلمات، مما يدل على قوة الكلام البشري وهذا ما أدى إلى ظهور لغات مختلفة مثل الفارسية والعربية والأردية وغيرها. واللغات هي مظاهر متعددة للقدرة على التعبير والتي منحها الله للإنسان على الرغم من الاختلافات في الجنس والقبائل والأمم. فمن الممكن أيضًا أن تكون هناك اختلافات في اللغات واختلافات في اللهجات والأصوات، لأن لغة المدينة تختلف عن المناطق المحيطة بها ومن ناحية أخرى، لا يوجد شخصان متشابهان من ناحية نغمة الصوت. (طباطبائي، ٢٠١١، ١٦٧/١٦) تمت مناقشة كافة هذه الموضوعات في علم يسمى "علم اللغة الاجتماعي". وفي الواقع، فإن علم اللغة الاجتماعي هو فرع من اللسانيات يدرس تأثير العوامل الاجتماعية على ميزات اللغة وأنماطها. وترتبط اللغويات الاجتماعية ارتباطًا وثيقًا بعلم اجتماع اللغة الذي يبحث تأثير اللغة على المجتمع. يمكن مناقشة العلاقة بين اللغة والعوامل الاجتماعية من منظورين: فمن ناحية، تؤثر الاختلافات الاجتماعية بين الأفراد على كلامهم وخطابهم. ومن ناحية أخرى، تعتبر الاختلافات اللغوية والكلامية مقاييس مهمة للتصنيف الاجتماعي.

على مر التاريخ وخلال عملية تطور الحياة البشرية، خبت التجارب اللغوية وعادت للظهور وقد أدت مجموعة متنوعة من التعبيرات والاختلافات في مستوى المعرفة إلى ظهور أنواع لغوية مختلفة لأغراض تعبيرية. هذه التغييرات تؤدي حتمًا إلى تشكيل أنواع مختلفة من اللغة؛ الأنواع التي يمكن رؤيتها بوضوح اليوم من خلال مراجعة التاريخ الاجتماعي ومن خلال دراسة الأعمال الفكرية المتبقية.

١. اللغة الأدبية

اللغة الأدبية هي لغة الأدباء والخطباء. فيعتمد أساس هذه اللغة على العاطفة والخيال ويتجاوز الكلام العادي ويوضح مخاوف المجتمع وآماله وأفراحه وأحزانه. واللغة الأدبية هي التي تعكس المعاني الجيدة والحسنة بكلمات جيدة وحسنة والأديب هو شخص يعبر عن المعاني الجيدة والحسنة بكلمات جيدة وحسنة (الجاحظ، ١/٨١) وأما اللغة الأدبية لغة لمجموعة تتجاوز المجتمع وهي فئة أكثر إدراكًا للغة الخفية وقدراتها غير العادية

وبالتالي فإن جانب "التخصيص" لهذه اللغة يكون أبرز والاتفاق على التواصل الكلامي أضعف. فيعتقد ميشيل إريو أن «يستفيد النص الأدبي من اللغة الطبيعية من جهة ويخلق لغة جديدة من ناحية أخرى. فإن هذه القيمة الأدبية جديرة بالاهتمام، اهتمام باللغة والعالم.» (أحمدي، ١٩٩٩: ١٨١)

ومما لا شك فيه أن بعض الإيماءات والتشبيهات والمجاز والاستعارات والكنايات الجميلة في اللغة الأدبية تعقدها أحيانًا وتضعها في عنق الزجاجة على الرغم من جمالها اللغوي. ومن الواضح أن اللغة تنخرط بشكل متزايد في التقنيات الأدبية ودقتها وقد تفلت من العقل. (شاكرين، ٢٠١٢: ١٢) ولكن يمكن أيضًا العثور على هذه العناصر اللغوية نفسها إلى حد ما في المحادثات العادية للناس رغم أن تنوعها قد يكون أقل وأقرب إلى الفهم العام. فمصطلحات مثل "الأظافر الجافة" أو "القلب المفتوح" هي تعبيرات أدبية يتم استخدامها في المحادثات العادية.

مثال آخر للنص الأدبي هو الوصف في مشهد: تضم مدينة مشهد الجميلة الواقعة على سفوح جبال هزار مسجد، النطاق الواسع والضريح الذهبي للإمام الرضا (ع) كدرة في أحضانها.

٢. اللغة العلمية

تسمى لغة جميع العلوم، سواء كانت تجريبية أو طبيعية أو بشرية، "لغة علمية". ففي النصوص النثرية أو العلمية، يتم توضيح جميع معتقدات وأفكار المؤلف أو المتحدث. في هذه اللغة، يكون النص معبرًا عن المعنى. (سعيدي روشن، ٢٠٠٤: ٣٩ ـ ٤٠) وتدور اللغة العلمية حول وصف الحقائق وليس الإثارة أو الالتزام وبالتالي. فيمكن للمرء أن يشكك في جميع مفردات النص العلمي مهتمًا بجميع الكلمات من حيث الشمول وعدمه. (ايازي، ١٩٩٧: ٥٣ ـ ٥٤) بالإضافة إلى استخدامها في المعرفة، فإن اللغة المهنية للعلماء والتقنيين تحافظ أيضًا على الإدراك العلمي وتزيده. فيجب أن تتسم اللغة المهنية بالدقة وسهولة الاستخدام. (آشوري، ٢٠١٣: ٤٧)

اللغة العلمية هي لغة دقيقة تقترن بالمنطق ولا يمكن العثور على أي من المفاهيم دون سبب أو تعبير أو دليل. وهذه اللغة قد تكون صحيحة أو خاطئة. وهذا يعني أنه من الممكن تحديد ما إذا كان المفهوم صحيحًا أم خاطئًا من خلال البحث في بياناته. والمفاهيم العلمية غير عاطفية وغير حساسة ولا يمكن أن نتوقع من اللغة العلمية إثارة العاطفة في الإنسان. لا توجد علاقة جوهرية بين المفاهيم العلمية والمفكر الذي يستخدم تلك المفاهيم. (كاسيرر، ٢٠٠٨: ٢٨-٢٧) لذلك، لا يوجد في اللغة العلمية أي أساس لظهور المشاعر والعواطف الشخصية. فعلى سبيل المثال، انظر إلى هذه الجملة وقارنها مع القسم الساب: تقع مدينة مشهد على سفوح جبال هزار مسجد ألف. ويقع ضريح الإمام الرضا (ع) في هذه المدينة.

٣. اللغة الرمزية

الرمز هو أحد أكثر أنواع الخيال شيوعًا. فكل رمز هو صورة محسوسة وأحيانًا ملموسة تؤكد المعنى والحقيقة المجردة في العقل البشري. وفقًا لريتشارد وأوغدن. فإن الرموز هي علامات يستخدمها الناس لنقل المفاهيم. (اختيار، ١٣٤٨: ٤٥) ويميز تنوع وتعقيد نظام العلامات في مختلف الحضارات الإنسانية بين المستوى الفكري والثقافي (المصدر نفسه: ٩٩-٩٨)

يعادل كلمة الرمز في الإنجليزية "symbol". (أمين، ١٩٧٢: ٤/ ٤٢٠-٣٩٨) ويعتقد قدامة بن جعفر وهو من الأدباء العرب أن المتحدثين يستخدمون الرموز عندما يريدون إخفاء نواياهم عن كافة الأشخاص وإبلاغ البعض منهم فقط. وبالتالي، بالنسبة للكلمة أو الحرف، فإنهم يستخدمون أسماء الحيوانات أو الطيور أو الوحوش أو غيرها من العناصر أو الحروف الأبجدية ويخبرون الشخص بما يريدون (پورنامداريان، ١٣٦٧: ٣)

في اللغة الرمزية، لا يتم استخدام أي كلمات بالمعنى الحرفي للكلمة. ففي هذه اللغة، يجب على المتحدث والجمهور استخدام المفردات استنادًا إلى معرفتهم السابقة بالمفردات وفهم الرموز الكامنة فيها. (موسوي أردبيلي، ١٩٩٦: ١٦) وتؤكد اللغة الرمزية على عدم الصراحة والخطاب السري. فاللغة الرمزية غامضة، متعددة الأوجه

وتمتلك في بعض الأحيان قوة خالدة. فولد هذا الرمز من اللاوعي. (كزازي، ١٩٩٣: ١٦)

ويحتوي *نهج‌البلاغة* على حالات متعددة تضمنت استعمال اللغة الرمزية في خطاب أمير المؤمنين (ع) فعلى سبيل المثال، استعمل كلمة «ضَبَّة» للتعبير عن لومه لأنصاره الخائفين والتعبير عن شدة خوفهم: «كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُل مِنْكُمْ بَابَهُ وَ انْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا» (الخطبة ٦٩) والضبة رمز الخوف الكبير الذي يدفع بالشخص إلى الهروب من ساحة المعركة دون مقاومة أمام الخصم.

٤. اللغة العرفية

تعرف اللغة العرفية لعلماء أصول الفقه بالدلالة التصديقية. (النائيني، ١٤١٢: ١/ ١٤٠، ٣٤٠ و ٧١٦) ويتطلب تكوين اللغة العرفية أن تكون مفردات اللغة متأصلة في المعاني الشخصية وأن يفهم المتحدث أو الكاتب معناها أثناء التحدث أو الكتابة وأن ينويها وبمعنى الكلمة الأكثر صرامة، أن يستعملها عن سابق إرادة. فمن المؤكد أن نفس المعاني الذهنية المقصودة في وقت النطق هي كافية لتشكيل مفهوم ويمكن للعقل أن يعزى بشكل معقول المعنى الواضح لمفردات المتحدث. (سلمان‌بور، ٢٠٠٥: أ، ٢٤)

كتب لوثر، الذي ساهمت ترجمته للكتاب المقدس إلى حد كبير في تطوير اللغة الألمانية، في رسالة إلى مترجم كتابه: «يجب على المرء أن يتعلم اللغة من ربة المنزل، ومن الأطفال الصغار، أن يسأل أصحاب السوق وينظر إلى أفواههم عندما يتحدثون ليترجم جيدًا. وعندها سيتفهم الناس ترجمته ويعرفون أن الرجل يتحدث إليهم بلغتهم الأم.» (لوتز، ٢٠٠٧، ١٠٦)

هذا النوع من اللغة مقبول أيضًا بين العقلانيين. وتحتوي هذه اللغة المشتركة على قواعد للتفهيم والتفاهم المشترك ويلتزم بها جميع الأشخاص في جميع الأوقات بكل لغة ومستوى من المعرفة. ووفقًا لهذه القواعد يعتبر المتحدثون باللغة العرفية استخدام الكلمات خاضعًا للمعاني المحددة لها للتعبير عن إرادتهم. علاوة على ذلك، فإن قانون التفاهم العرفي العقلاني واسع جدًا لدرجة أنه يمكن استخدام جميع أنواع الأمثلة، التشبيهات، الاستعارات، الكنايات، الإيجاز، الإيماءات وما إلى ذلك عند الحاجة وأثناء استخدام المعاني المجازية، يجب عليهم الإدلاء ببيانات وأدلة في خطابهم. ومن هذا المنطلق، بالنسبة للجنس البشري هناك لغة عالمية ومشتركة في جميع المجالات العلمية والعملية المختلفة، مهما كانت فئات الناس من المثقفين إلى العلماء إلى الصوفيين وحتى إلى العاديين وغير المتعلمين أو الأميين. (علي تبار فيروزجايي، ١٣٨٨: ٨ ـ ٩)

ومن السمات الأبرز للغة الطبيعية أو اللغة العرفية هي أنها تخرج عن سياق الحياة الجماعية دون التدخل في إرادة الإنسان وأن الأشياء تضاف إليها بطرق مختلفة. هذه اللغة، مع قواعدها والاختلافات بين الناطقين بها، هي لغة الوعي والذوق والسلوك الجمالي. (أشوري، ٢٠١٣: ٢٢، ٣٢) فيعرف البعض اللغة العرفية كلغة طبيعية قائلين: اللغة الطبيعية هي في الأساس وسيط التواصل في مجتمع طبيعي. والمجتمع الطبيعي هو مجتمع مستقر في بيئة جغرافية محددة ويستمر من خلال التكاثر مع مرور الوقت. والمجتمع الطبيعي هو مجتمع ذو تاريخ وذاكرة تاريخية بلغة خاصة به ويصوغ عالمه الثقافي وحياته المادية والروحية ويسمي نفسه اسمًا يميزه المجتمعات الأخرى. فهذه في الأساس هي لغة طبيعية. (آشوري، ٢٠١٣: ٢٠)

الطريقة التي يتفاعل بها الفقهاء والشارحون والباحثون مع النصوص الدينية هي دليل واضح على قبول اللغة العرفية في فهم النصوص الدينية والنظر إلى لغة الدين. فيسعى الفقهاء والمحللون والأشخاص الذين يراجعون النصوص الدينية بعد قبول حجية الظواهر إلى اكتشاف ظواهر أقوال الدين حيث يقومون بتوظيف مباحث واسعة ودقيقة من دراسة المعنى وأحيانًا التفسير في علم أصول الفقه لأجل منهجية فهم الظواهر مما يشكل أداة قوية للاجتهاد والتنظير. ولا شك أن هذه الطريقة المرجعية تعتمد على فهم النصوص على أساس أن لغة الدين مستخدمة للتعبير عن القوانين الدينية والقوانين المطلوبة للحياة الإنسانية وهي اللغة العامة والعقلانية لعامة الناس وهي عبارة عن سلسلة من الأنظمة والقواعد المشتركة بين جميع اللغات. (سلمان‌پور، ١٣٨١: ٥٠) ففي اللغة

العرفية، يتحدث الناس في بعض الأحيان ويعتزمون الحصول على معنى دون الرغبة في قبول خصائصه ومتطلباته لأنه في كلمات الناس المعتادة هناك تسامح كبير في وصف الحقائق. (ايازي، ١٣٧٦: ٥٣ ـ ٥٤)

للغة العرفية معايير وقواعد نشير فيمايلي إلى أبرزها:

أ) المبدأ في الكلام هو معناه الحقيقي، ما لم يكن المقصود المعنى المجازي في حالات محددة بدليل واضح. فعلى سبيل المثال لا يوجد معنى حرفي في الأمثال والكلمات الشائعة.

ب) تفرض اللغة العرفية الكلمة على الحالات التي تعرفها من خلال الممارسة الشائعة، ما لم يعلن المتحدث نفسه عن حالات تتجاوز المعرفة التقليدية.

ج) يقوم العرف على التجويز والتسامح في الكلام. ومع ذلك في الحالات التي يرفض فيها المخاطب احتمال التسامح في الكلمة أو يؤكد المتحدث على عدم التسامح في خطابه فلن يكون هناك مجال للتسامح.

د) لا يفسر الكلام المستمر بشكل منفصل في اللغة العادية فالبعض منه سيكون شاهدًا على الآخر.

هـ) يجب فهم كل كلمة وفقًا لظروفها الزمنية والمكانية على أساس العرف وسيرة العقلاء. بعبارة أخرى فإن شروط عمر الكلام وخصائص المتحدث والمستمع فعالة في فهم الكلام. (بورعلي‌فرد، ٢٠٠٠: ٤٣-٤٤)

يعد استخدام الإمام علي (ع) للكنايات العرفية أحد المظاهر البارزة لاستخدام اللغة العرفية في *نهج البلاغة*. ففي الخطبة الشقشقية، يستخدم كلمة "تقمص" في عبارة «أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ» (الخطبة ٣) في إطار الكناية، منكرًا كفاءة الخليفة الأول في تولي هذا المنصب ومشيرًا بشكل ضمني إلى مسألة اغتصاب الخلافة.

لقد استعمل كلمة «قميص» وهي نوع من الملابس والقماش في باب «تفعل» كناية عن ارتداء لباس الخلافة من قبل أبي بكر رغم أنه لا يليق به. (ابن ميثم، ١٣٦٢: ٢٥٥/١)

٥. اللغة المجازية

بعض النصوص والعبارات، لا سيما في سياق العقائد الدينية، ليست بالضرورة نصوص في هيكل وسياق لغة المخاطب. بمعنى آخر، للدين طريقة معينة لنقل بعض تعاليمه تختلف عن أساليب المحادثة في العرف الإنساني. بالنظر إلى أن هذه النصوص تحتوي على مصطلحات محددة ضرورية لتحقيق أسمى الإرشادات. فيمكن أن نستنتج أن لغة التعاليم الدينية فيما يتعلق ببعض الموضوعات هي لغة مجازية. ويرى البعض أن العلامة الطباطبائي ينظر إلى لغة القرآن على أنها تستخدم الكثير من اللغة العرفية، لكنها ليست عرفية تمامًا. (عنايتي‌راد، ١٣٧٦: ٣٧؛ قدردان قراملكي، ١٣٨١: ٧٣) كما أن القول باقتصار لغة القرآن على اللغة الشائعة هو تفسير بالرأي غير محمود. (الطباطبائي، ٢٠١١: ٣/ ١١٧. ١٢٢) ومع ذلك، فإن هذا الرأي يستحق أيضًا النظر فيه. (الشهيد، ٢٠١٥: ٧٩-٨١)

اللغة المجازية مصحوبة دائمًا بسمتين هما الاحترافية والدقة. الميزة الأولى تجعل من الممكن للغة الافتتاحية للموضوع أن تكون مصممة بالكامل وشاملة للمحتوى المعنيّ ويجب أن تؤخذ نفس هذه الجوانب في الاعتبار.

كما أن دقة اللغة تمنع اللغة من الخروج عن حدود الدقة والحساب ولن يتم التسامح فيها أو في موضوعية التعبيرات وصدق الكلمات.

إن هذه اللغة بعيدة عن التسامح والتساهل في التعبير. لذلك ليس لديها طريق للتعامل مع الأمور الدينية خارج العالم المادي. في مثل هذه الحالات، يجب أن تتجاوز طريقة الوصول إلى الحقائق الدينية العليا ما هو شائع بين الجمهور. فمثل هذا الرأي يتضح أكثر فأكثر في تلك النصوص الدينية المكرسة للمسائل خارج نطاق الحسيات والفطرة.

مفهوم الدعاء والمناجاة

يعتبر الله سبحانه وتعالى في نهاية سورة الفرقان أن سبب تكريم شؤون المسلمين الدينية هو الدعاء والمناجاة: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ (الفرقان/ ٧٧) فتشير هذه الآية بوضوح إلى ضرورة الاهتمام بثقافة الدعاء وتأثيرها والمعنوي والروحي على حياة الإنسان. يمكن للمرء أن يجد الإلهام في المناجاة للعثور على أي طريق. لذلك الصلاة نفسها هي وسيلة للعيش. (شريعتي،

٢٠٠٤: ٤٠) وعرف الدعاء في الثقافة الإسلامية بأنه أفضل العبادة وكهف الإجابة وسلاح المؤمن. (الكليني، ١٤٢٩: ٤/ ٢٩٧، ٣٠١ و ٣٠٧؛ الراوندي، ١٤٠٧: ١٨) ومفتاح الرحمة.

«دعاء»، مفرد أدعية من «د.ع.و». وأصل هذه الكلمة «دعاو» حيث استبدلت الواو بعد الألف همزة. والدعاء هو التوجه إلى الله وطلب الخير منه مع الابتهال والالتماس. (الزبيدي، بلاتا: ١٠؛ ابن منظور، بلاتا: مادة دعو) ويعتبر الراغب أن الدعاء مثل النداء عدا أن النداء يكون أحيانًا بدون ذكر اسم، لكن الدعاء غالبًا ما يقترن بذكر اسم وتستخدم هاتان الكلمتان بدلًا من بعضهما البعض أحيانًا. (الراغب الأصفهاني، ١٤٢٦: مادة الدعاء)

ويقول ابن فهد الحلي في تعريف الدعاء: «الدعاء اصطلاحًا طلب الادنى للفعل من الاعلى على جهه الخضوع و الاستكانه.» (ابن فهد الحلي، بلاتا: ٩) ويدل الخضوع والسكينة وهما من شروط الدعاء على أن لغته يجب أن تختلف عن التعابير الأخرى.

الدعاء هو طلب الإنسان المتواضع من الله عز وجل؛ الطلب الذي يقترن بالجهود لا بعدم المسؤولية. ففي هذه العملية، يجب استيفاء الشروط لتقريب الطلب من الامتثال. ولا شك أن هذه الشروط تؤثر قبل كل شيء على لغة التعبير على تلك الرغبات.

الدعاء والمناجاة في *نهج‌البلاغة*

الإمام علي (ع) هو معلم أدب الدعاء والمناجاة وحلقة الوصل بين المناجين في سبيل الحق. ففي نظرة عشق إلى خالق الوجود يرى أن المناجاة والدعاء مفيدان عندما يقترنان بالعمل الصالح: «اَلدّاعِي بِلا عَمَل كالرّامِي بِلا وَتَر.» (الحكمة ٣٣٧)

أثار الإمام علي (ع) في أدعيته ومناجاته أسمى وأدق قضايا الحكمة الإلهية والتي يعتبر *نهج‌البلاغة* مثالًا عليها. (مطهري، ١٣٩٢: ٥٥) من وجهة النظر التوحيدية *لنهج‌البلاغة* وكما أن التوجه إلى خالق الوجود هو قانون فطري يدركه الإنسان منذ ولادته ويسعى دائمًا إلى التقرب من خالقه. فإن الأنس بالدعاء والمناجاة مقترن به. و«أفضل مثال على مثل هذه المناجاة يمكن العثور عليه في مناجاة علي لإله الإسلام وبهذا المقياس يمكن فهم مخاوفه بشكل أفضل.» (شريعتي، ٢٠٠٤: ٢٧)

يدخل الإمام علي (ع) في جميع هذه الحالات جو المناجاة حيث يشكل الدعاء إحدى الرغبات الفطرية للإنسان: «فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ وَ إِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاك ...»؛ (الرسالة ٣١) وفضلًا عن ذلك، فإن حاجة الإنسان للمناجاة أمر بدهي لا يحتاج للبرهنة: «مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلَاءُ بِأَحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ.» (الحكمة ٣٠٢)

إن نظرة على أدعية الإمام علي (ع) ومناجاته تدلنا على محتواها:[1] «نَسأَلُ اللهُ مَنازِلَ الشُّهَداء وَ مَعايِشَةَ السُّعَداء وَ مُفارَقَةَ الأنبياء» (الخطبة ٢٣) ويرى أن مصير المسلم يكمن في ظل دعائه ومناجاته وسعادته وشهادته وتقربه من الله تعالى: «أنْ يَخِتِمَ لِي وَ لَك السَّعادَةَ وَ الشَّهادَه إنّا للهِ وَ إنّا إلِيهِ الرّاجِعُونْ» (الرسالة ٥٣) و ويؤكد قائلًا: «اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَ قَرَارِ النِّعْمَةِ وَ مُنَى الشَّهَوَاتِ وَ أَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ وَ رَخَاءِ الدَّعَةِ وَ مُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وَ تُحَفِ الْكَرَامَةِ» (الخطبة ٧٢)

١. لغة الدعاء في *نهج‌البلاغة*

إذا كانت لغة الدعاء هي لغة عرفية محصورة في بيئة جغرافية مع أدوات لغوية خاصة ومتحدثين خاصين بتلك اللغة، فسوف يتم تجريد جانبها المجتمعي وستفقد عموميتها بين البشر في جميع الأعمار والأجيال من مناطق جغرافية مختلفة. تتجاوز لغة الدعاء اللغة العرفية التقليدية والبنية الإنسانية للكلام وتمثل الشكل التعبيري للوجود الإنساني. (سلمان‌بور، ١٣٩٢: ٢٢) لأنه اصطلح على أن أساس اللغة عرفي (خراساني، ١٤١٢: ٢٤) ولا طريق له إلى لغة الدعاء ولا تنطبق قواعد اللغة العرفية عليها. ومع ذلك، لا يمكن استبعاد أن لغة الإنسان ترجمة للغة الدعاء وفي بعض الحالات يمكن أن تساعد المناجاة على فهم أفضل للنوايا السامية وموضوعات الدعاء.

إن تجذر الدعاء في الحقيقة العينية والميتافيزيقية يميز لغته عن سائر اللغات ويقربها من لغة العرفان. والدعاء

الحقيقي هو الأدعية والمناجاة المرتبطة بالإدراك والمعرفة. وإذا لم يكن هذا هو الحال مع الداعي فإن موضوع الأدعية والداعي سيكون له شكل مجازي ومثل هذه المناجاة ليست ممتعة ولا مجال لقبولها. ويجب أن تُستقبل الأدعية الحقيقية والموضوعية من قبل أولئك الذين يتبعون طريق الحقيقة قبل كل شيء. فيقول الخميني (ره): إن الأدعية التي نقلت عن الأئمة (ع) هي "قرآن صاعد" بتعبير البعض وهي معارف إلهية تذهل الإنسان. فإن القضايا التي ذكرها الأئمة (ع) للناس على شكل تكليف وتعيين للواجبات هي باب حول العرف العام، فعندما وصلوا إلى المناجاة والأدعية، أصبح الأمر يختلف. فلم يعد الأمر في إطار اللغة الدارجة بين الناس. بالطبع، هناك كل شيء فيها لكن التعاليم الموجودة في أدعية الأئمة ومناجاتهم، هي لغة مختلفة وليست اللغة المعتادة وغير لغة الأحكام الإلهية. فإن دراسة هذه الأدعية هي وسيلة الإنسان للوصول إلى بعض المنازل الإلهية. (الخميني، ٢٠١٠: ١٩/٢٨)

ويمكن أن ننظر إلى أدعية *نهج البلاغة* التي تصدر من أحد أشرف البشر من هذا المنظور وتحليل لغتها وتقييمها.

٢. ملامح لغة الدعاء في *نهج البلاغة*

الدعاء كما يقال له هو "قرآن صاعد" وطلب والتماس من الفرش إلى العرش ومخاطبه هو الله تعالى. ففي مثل هذا البيان، الكلمات ليست بذات موضوعية، على الرغم من التعبير عن شروط الدعاء وتقديمها. فعندما يلفظ اللسان الدعاء بلغة الدعاء ويقدم الدعاء في صورة مفردات إلى الله فسوف يكون أكثر فاعلية. (سلمان‌بور، ١٣٨٤: ب، ٩٥) وبالتالي فقد أمر الأئمة (ع) بالدعاء إلى الله. فيقول الإمام الصادق (ع): «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالى يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ الْعَبْدُ إِذَا دَعَاهُ و لكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ تُبَثَّ إِلَيْهِ الْحَوَائِجُ، فَإِذَا دَعَوْتَ فَسَمِّ حَاجَتَكَ» (الكليني، ١٤٢٩: ٤/ ٣١٦) ويمكن تقسيم أبرز ملامح لغة الدعاء في *نهج البلاغة* على النحو التالي:

١.٢. اليقين والحقيقة في لغة الدعاء

لا تنحصر رغبة الإنسان في نمط الدعاء بالمفاهيم والتصورات الماهوية لأن جميع المطالب الخاصة بالأدعية والمناجاة تكون ذات وجود موضوعي وعيني. والداعي على يقين منها. وتشير شهادة قلب الداعي على أن هذه الطلبات موجودة إلى أن أفق الطلب واضح للداعي. فيبين أمير المؤمنين (ع) مثل هذه الميزة للغة الدعاء ويسأل الله قائلًا: «اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي وَ خُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ- وَ لَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ.» (الخطبة ٢٢٧)

هذه العبارة كناية عن أنه لا يستطيع الإنسان أن يهتدي إلى مصالحه الخاصة بنفسه. (الخوئي، ٢٠٠٦: ١٤/ ٣٥٥) فإن الله تعالى يدل العباد على مصالحهم ووعي الذات الإلهية باحتياجات الفرد وضروریاته أمر بديهي. لذلك، دائمًا ما يختار الإنسان أفضل المطالب التي يراها الله مناسبة له. (مغنية، ١٣٥٨: ٣/ ٣٢٧) وبحق. فإن مثل هذا الاختيار من قبل الله هو بالتأكيد أمر يقين. لقد أكد على صحة اهتمام الله عز وجل بالداعي: «فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ وَ إِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ وَ أَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ.» (الرسالة ٣١)

إن يقين لغة الدعاء يؤدي إلى اتحاد المعنى واللغة مع بعضهما البعض وهذه الوحدة تجعل الدعاة وخاصة الأئمة الأطهار، بعيدين كل البعد عن الشك والترديد في مناجاتهم. فإن عدم الشك هذا يقودهم بالتأكيد إلى تحقيق رغباتهم ومن ثم يمنح قلوبهم السكينة: «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعًا مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ...» (الحكمة ١٣٥) ويقول الشريف الرضي في شرح هذه الحكمة: ويدل كتاب الله تعالى على صحة هذا الكلام: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (الغافر/٦٠)

ويبين أمير المؤمنين (ع) المقامات والكرامات التي يكتسبها أهل المعنى في ضوء العبادة قائلًا: «قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلائِكَةُ وَ تَنَزَّلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ وَ فُتِحَتْ لَهُمْ ابْوابُ السَّماءِ وَ اعِدَّتْ لَهُمْ مَقاعِدُ الْكَراماتِ فى مَقامٍ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيهِمْ فيهِ فَرَضِى سَعْيَهُمْ وَ حَمِدَ مَقامَهُمْ يَتَنَسَّمونَ بِدُعائِهِ رَوْحَ التَّجاوُزِ... .» (كلام ٢٢٢)

يسأل أهل المعرفة الله تعالى ألا يؤدي تركهم الأولي إلى انقطاع الفيض الإلهي ويدعون الله أن يغفر لهم ذنوبهم المتمثلة في الترك الأولي. (ابن ميثم، ١٣٦٢: ٤/ ٧٣)

فيستمتع أهل المعرفة إثر الدعاء والمناجاة بنسيم المغفرة الإلهية الذي يداعب الروح مستنشقين رائحة العفو الإلهي الزكية. فيغادر الخوف والقلق قلوبهم في ظل هذه الرحمة الربانية. (الخوئی، ١٣٨٥: ١٤/ ٢٦٤)

إن لغة الدعاء تدل على أن المسبب المطلق هو الله تعالى في الخلق والمؤثر هو الوجود الإلهي في نظام الخلق. يتجنب الداعي في هذه اللغة أي تسامح وتساهل تسمح به اللغة العرفية، فيعتبر في لغته المجازية الله السبب والمؤثر في مختلف الشؤون كما يربط مصير كل حوادث العالم وحقائقه بالله عزل وجل، الله الذي تسري إرادته المطلقة على كافة الشؤون: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ أَوْ أُضْطَهَدَ وَ الْأَمْرُ لَكَ.» (الخطبة ٢١٥) تشير هذه العبارة إلى الهداية الإلهية والعدل الإلهي الواسع. (ابن ابي الحديد، ١٣٣٧: ١١/ ٨٦)

وتبين لغة الدعاء والمناجاة أحيانًا شهود الغيب والمكاشفة في العالم الميتافيزيقي وترتبط بالعالم مترامي الأطراف بعلاقة وثيقة وعميقة. (طهراني، ١٣٦٩: ١٣٨) ففي هذه الحالات تتحول لغة المناجاة إلى لغة غيبية تتجاوز العقل وتشير إلى الأسرار الكامنة في أسمى منازل الوجود مرشدة الإنسان إلى تلك المنازل. وربما تأتي هذه العبارات من *نهج‌البلاغة* في هذا الإطار: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ وَ أَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ وَ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ وَ إِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَئُوا إِلَى الِاسْتِجَارَةِ بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ وَ مَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.» (الخطبة ٢٢٧)

والمقصود بالأنس هنا هو المحبة. (الخوئي، ١٣٨٥: ١٤/ ٣٤٤) والله تعالى هو ألطف مؤنس لأوليائه والمؤمنين به. (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ١١/ ٢٦٧)

٢.٢. لغة الدعاء، لغة الفطرة

يصرح *القرآن الكريم* أن الفطرة الإنسانية مبنية على افتقار الإنسان للوجود (فاطر/ ١٥؛ محمد/ ٣٨) ومن هذا المنطلق يشعر الإنسان فطريًا بالحاجة إلى وجود غني عن الحاجة. ويعبر القرآن الكريم عن هذا الفقر في إطار الدعاء والمناجاة: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل/٦٢)

يدعو الإنسان الله تعالى في حالتين: في حالة انقطاع الأسباب والعلل المادية والذي يعرضه إلى المشقة والحاجة. وفي حالة ازدهار الروح وترقيها وانقطاعها عن الأسباب والعلل. ويتوجه الإنسان إلى الله تلقائيًا في حالة الحاجة والمشقة وانقطاع الأسباب ولا يحتاج للدعوة (مطهري، ١٣٧٨: ٢٣/ ٧٨٣) فيدعو الإنسان ربه في هذه الحالة من الفقر والمسكنة والمشقة والضيق دون تعليم وتعلم ويسأله أن يقضي له حوائجه مما يدل على الماهية الفطرية للدعاء والمناجاة.

يعتقد ألكسيس كارل[٢] الطبيب الفرنسي المعروف أن «المناجاة من الحاجات العميقة مثل الأكل والشرب وهي تنشأ من أعماق الفطرة الطبيعية للإنسان» (شريعتي، ١٣٨٣: ١٤٢.١٤٣) وأحيانًا ما يتم التعبير عن هذه الحاجة بلغة الدعاء ومن هذا المنطلق فإن لغة الدعاء يمكن أن تعبر عن الشعور الفطري للإنسان بالحاجة الدائمة والفقر: «اللَّهُمَّ وَ هَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَ لَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَ الْمَمَادِحِ غَيْرَكَ وَ بِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ» (الخطبة ٩١)

يصف أمير المؤمنين (ع) في هذه العبارة نفسه كسائل يرفع يدي الحاجة إلى الله تعالى طالبًا منه أن يغنيه عن الآخرين. (مغنية، ١٣٥٨: ١/٤٧) ولهذا يعتبر أن المجد والرفعة لله الذي تنحصر في ذاته العزيزة أوصاف الجمال والجلال مما يدعونا إلى حمده وثنائه، فحاجة الإنسان التي لا تنتهي لا تلبى إلا بعناية الله سبحانه وتعالى. (خوئي، ٢٠٠٦: ٧/ ٥٧)

ويناجي كل شخص في دعائه ساحة القداسة الربانية بما يتناسب مع مرتبه الوجودية (علمي، ٢٠٠٩، ٣٨) لأن لغة الدعاء تتكون في مرتبة الإنسان الوجودية ومن هذا المنطلق فإن لغة الدعاء تشير إلى المرتبة الوجودية للداعي

يا رب ز همه خلق مرا بدخو كن!

و از جمله جهانيان مرا يكسو كن!

روى دل من صرف كن اندر ره خود!

در كار خودت يك جهت و يكرو كن!

(اللهم أعتقني من الحاجة لجميع خلقك! وافصلني عن جميع العالمين! واجعل قلبي مشغولًا! في سبيلك هائمًا بك!). (كاشاني، ١٣٧٨: ١/ ٤٤٧)

ويعبر كلام الإمام علي (ع) في *نهج البلاغة* عن هذه الحقيقة: «أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَ لَا حُجَّةَ لِي وَ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي وَ لَا أَتَّقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي» (الخطبة ٢١٥)

إن التعبير عن الخضوع إلى الله تعالى من شروط الحصول على الرحمة الإلهية. (ابن ميثم، ١٣٦٢، ٤/ ٣٧) وتعبر هذه الكلمات عن رحمة الله المطلقة وصون الإنسان من المرض والموت. (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ١١/ ٨٦)

ويذكر تعالى في القرآن الكريم أن الدعاء موجود في كل مخلوق بشكل طبيعي وفطري: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن/ ٢٩) وعلى حد تعبير الشهيد مطهري فإن رغبتنا وميلنا إلى الدعاء والمناجاة تشبه الرضيع الذي يتوق إلى الرضاعة الطبيعية. فعندما يكون هذا الطفل جائعًا وتنشأ الحاجة في وجوده، يتم تحفيز رغبته وتوجيهه للبحث عن الثدي الذي لم يره ولم يعرفه بعد. وهذه الرغبة هي التي ترشده. وهذه الرغبة هي توجيه ذاتي يدفعه إلى فتح فمه والبحث. فإذا فشل في العثور على الثدى يبدأ في البكاء. تشبه مناجاتنا بحث الرضيع عن ثدى الأم الذي لم يره ولم يعرفه. (مطهري، ١٣٧٨: ٢٣/ ٧٨٣) فإن أدعية أئمة الدين تنبع من عمق فطرتهم وتجري على اللسان: «اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَ دَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَ جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَ سَعِيدِهَا» (الخطبة ٧٢)

يهدف الإمام علي (ع) من هذا الدعاء إلى عبادة الله والتقرب منه عبر تجليل مقام رسوله وتقديس وجوده. (الخوئي، ١٣٨٥: ٥/ ١٩٢) ويكون الخلق الإلهي على أساس المواهب الموجودة في أصل خلقته. (السرخسي، ١٣٧٣: ٧٩) والفطرة بمفهوم خلق الإنسان على شكل عقل بحث خال من الأفكار والدين والعقيدة والإيمان (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٦/ ١٤٠؛ الراوندي، ١٣٦٤: ١/ ٣٠٣) حتى يتمكن الإنسان من اختيار الخير أو الشر من خلال حقه في الاختيار. (الكيذري، ١٣٧٥: ١/ ٣٥٦)

لا يمكن اعتبار لغة هذه التعابير هي اللغة القياسية التي يقوم عليها الترابط الاجتماعي والثقافي لأفراد المجتمع وتعتبر لغة كل متحدث مختلفة في الدعاء لأن ما يأتي من جسم الإنسان اللاواعي الفطري في جميع الأعمار له نفس الشكل والإطار بين جميع الأجيال وبسبب طبيعته النقية التي لا لبس فيها، فهو ذو لون موحد. فهذه الكلمات لا تتطلب التعليم والتعلم ومراعاة القوانين المكتوبة والمنطوقة ولكن كل واحد يدعو الله ويسأله وفقًا لفهمه.

٣.٢. بيان العواطف والمشاعر في لغة الدعاء

إضافة إلى الفقر الوجودي والحاجة الفطرية التي تُجلس الإنسان على مائدة الدعاء فإن الشوق والشعور عامل آخر لازدهار لغة الدعاء والمناجاة.

الشعور العرفاني ذو أهمية قصوى للأنشطة الروحية الأخرى لأن هذا الشعور يطلعنا على عظمة أسرار عالم المعنى. فمن خلال المناجاة يندمج الإنسان مع الله ويدخل الله في الإنسان. (شريعتي، ١٣٨٣، ٥٠): «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَ التَّعْدَادِ الْكَثِيرِ إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ وَ إِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ اللَّهُمَّ وَ قَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ وَ لَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَ لَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ وَ عَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ وَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَخْلُوقِينَ الْمَرْبُوبِينَ.» (الخطبة ٩١)

ويشهد كلام أمير المؤمنين (ع) على وجود الحب الإلهي وتدفق الشوق والعاطفة والشعور في لغة الدعاء. وتعني عبارة «وصف جميل» أن كلمات الواصفين عاجزة عن وصف الله عز وجل وأن كمالاته سبحانه وتعالى لا تحصى (مغنية، ١٣٥٨: ٢/ ٤٦) لأن له الأسماء الحسنى والصفات السامية والنعم والمغفرة (الخوئي، ١٣٨٥: ٧/ ٥٦) ويدل هذا على أن الشعور العرفاني غالبًا ما يتجلى في المناجاة وهو في النهاية وضوح ظاهرة روحية. (شريعتي، ١٣٨٣: ٣٣)

ومن منظور نفسي، عندما يتأثر الإنسان بالمشاعر بشكل شديد، يعجز اللسان عن الكلام وكذلك فإن الدعاء والمناجاة نتاج العواطف الإنسانية. (روحاني‌نجاد، ١٣٨٨: ٦٧) ويطلب أمير المؤمنين (ع) في بعض أدعيته من الله المحبة والمودة: «فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً...» (الخطبة ٢١٢)

يعتبر الإمام علي (ع) في هذه العبارة أن الله تعالى هو أكبر شاهد على أن عدوه ليس على حق. (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ١١/ ٦١) ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنه لا يخفى شيء عن الله لا في السماء ولا في الأرض. (الخوئي، ١٣٨٥: ١٤/ ٧٨)

حقًا إن مكانة علي (ع) لا تكمن في غناه عن الآخرين بل في الشعور بحاجات أكبر وأسمى مقارنة بالآخرين إضافة إلى شعوره بحاجة أكثر وفقر أكثر للوجود، لكن الآخرين لا يشعرون بذلك (شريعتي، ١٣٨٣: ٦٥) ويقول في مكان آخر: « اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ وَ أَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ...» (الخطبة ٢٢٧)

«المناجاة مظهر الإحساس والإشراق وأسمى تجلّ للروح والمعنوية الإنسانية» (شريعتي، ١٣٨٣: ٣٨) «اللغة العرفية» وهي إبراز ما في الضمير للآخرين، مناسبة في الوعي العرفي فحسب. لكنها ليست مفيدة في نطاق الوعي العرفاني والتجارب الباطنية. فإن تأسيس اللغة والمصطلحات الخاصة بالعرفان كان تلبية لهذه الحاجة. (روحاني‌نجاد، ١٣٨٨: ٦٦)

يقول الشيخ محمود شبستري:

معانی هرگز اندر حرف ناید

که بحر قلزم اندر ظرف ناید

چو ما از حرف خود در تنگناییم

چرا چیزی دگر بروی فراییم

(لا يمكن للكلام أن يستوعب المعاني كما لا يمكن للإناء أن يستوعب بحر القلزم، إذا كنا في ضيق من كلامنا، فلماذا نزيده؟) (شبستري، ١٣٨٢: ١٥)

ولمولوي الرأي ذاته:

لفظ و حرف و صوت را بر هم زنم

تا که بی این هر سه با تو دم زنم

(سوف أجعل الكلمات والأحرف والأصوات تضطرب حتى أتمكن من مناجاتك بدونها). (مولوي، ١٣٨١: ١/ ٧٩)

في بعض الأدعية المأثورة عن أئمة الشيعة، تكون لغة العاطفة والمشاعر في المناجاة غنية فائضة المعاني إلى درجة أن البعض يعتبرها مبالغة ويرفض بعض نصوص الأدعية التي لها مثل هذه الملامح. في حين أن هذه الخاصية متأصلة في لغة المناجاة والمناجي لا يبالغ في التعبير عن حبه. (سلمان‌بور، ٢٠١٣: ٣٤) إن المبالغة هي سمة من سمات اللغة العرفية وما يحدث في لغة المناجاة هو علامة على هيام الداعي في جمال الله وجلاله وغوصه في بحر المعرفة الإلهية. يقول كارل: "كمية الفكر والتعبير عن الدرجة التي يصل إليها المناجي أمر صعب، لأن المناجاة تمثل أعلى ذرى التعبير في تحليق الحب، إنها تخرج من الليل المظلم للعقل" (شريعتي، ٢٠٠٤: ٣٤) يقول مولوي:

هرچه گویم عشق را شرح و بیان

چون به عشق آید خجل باشم از آن

گرچه تفسیر زبان روشنگر است

لیك عشق بی زبان روشن‌تر است

چون قلم اندر نوشتن می‌شتافت

چون به عشق آمد قلم بر خود شکافت

(كل ما أقوله في العشق مخجل لأنه للعشق، رغم أن تفسير اللغة منير، لكن العشق بلا لغة أوضح لأن القلم كان يسارع في الكتابة عن العشق فقد انكسر). (مولوي، ١٣٨١: ١/ ١٠)

٤.٢. الإخلاص والتوحيد في لغة الدعاء

يقول الإمام علي (ع) في الخطبة الثانية من *نهج‌البلاغة* شاهدًا بأن الله تعالى واحد أحد: «وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُمْتَحَنًا إِخْلَاصُهَا مُعْتَقَدًا مُصَاصُهَا نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا وَ نَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا.» (الخطبة/٢)

الشهادة بوحدانية الله (الإخلاص والتنزيه والتوحيد) هي المبدأ الأساسي للعقيدة الإسلامية التي تميزها عن الأديان السماوية الأخرى. هذا الاعتقاد له تأثير عميق على السلوك الفردي والأخلاقي والسلوك الاجتماعي والديني. (مغنية، ١٣٥٨: ١/٧٣)

في هذا التعبير، يرى الإمام علي (ع) أن الشهادة الوحيدة المفيدة التي يدخرها الإنسان في الحياة الدنيا هي الشهادة بوحدانية الله وهي خالية من الشبهات الشكوك والوثنية الخفية. (كاشاني، ١٣٧٨: ١/ ٩٢) يدعو الله من أعماق وجوده وكيانه المضطرب بإخلاص وطهارة في السر والعلن، في القلب واللسان (مغنية، ١٣٥٨: ١/ ٧٤؛ الخوئي، ٢٠٠٦: ٢/ ٢٨٦) في بداية هذه الخطبة، كان الهدفان النهائيان للحمد والثناء الإلهي هو الحصول على النعم الكاملة للبركات الإلهية «اسْتِتْمَامًا لِنِعْمَتِهِ» والخضوع التام لله تعالى «اسْتِسْلَامًا لِعِزَّتِهِ.» (ابن ميثم، ١٣٦٢: ٢/ ٢٣٦و٢٣٧) والوسائل لتحقيق هذه الأهداف المزدوجة تتمثل في تجنب عصيان الله «اسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ» حيث يدفع الفقر الوجودي الإنسان إلى مرشدًا إياه إلى الله. (المصدر نفسه:٢٣٧)

ويعتبر في وصيته إلى ابن الإمام الحسن المجتبى (ع) أن أحد أهم مؤشرات الدعاء المستجبات هو الإخلاص والتوحيد: «أَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَ الْحِرْمَانَ.» (الرسالة ٣١)

بما أن الإخلاص في المناجاة هو من شروط الاستجابة للدعاء فإن الإمام في هذا التعبير يقوم الإمام الحسن المجتبى (ع) بتشجيع الجمهور على الدعاء والتضرع واستقطاب عناية الله والابتعاد عن الدعاء لغيره مستدلًّا على أن المغفرة والحرمان هما في يد الله وليس غيره. (ابن ميثم، ١٣٦٢: ٥/ ١١) ويمكن العثور على نفس المواضيع في بيان آخر للإمام (ع) في *نهج البلاغة*: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِكَ أَوْ تَتَايَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.» (الخطبة ٢١٥)

المناجاة على مستوى أعلى تتجاوز مستوى الرغبة والتعبير عن الحال. يعبر الإنسان عن حبه لله عز وجل ويقدر نعمه بركاته وأنه مستعد لفعل ما يأمر به. هنا تصبح المناجاة مسيرة روحية ومكاشفة باطنية. (شريعتي، ٢٠٠٤، ٣٨)

كما يطلب الإمام (ع) من الله تعالى أن يجعل روحه أول نعمة يقدمها عند الموت أو الشهادة «اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي وأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي» (الخطبة ٢١٥) المقصود بـ «كرائم» في هذا الدعاء القوى النفسية والبدنية والأعضاء والجوارح. (ابن ميثم، ١٣٦٢، ٤/ ٣٧)

٥.٢. الإخلاص والتوحيد في لغة الدعاء

عالم المناجاة مليء باللذة والفرح الداخلي. لذة تأخذ المناجي معها إلى ما يتجاوز الزمان والمكان. إن الاهتمام الصادق بمحتوى المناجاة والدعاء يرجع إلى الترقي الروحي إلى أعلى درجات الإيمان والتقوى. هذا يشير إلى أن لغة المناجاة هي حقيقة تتجاوز لغة الكلام والكتابة. لغة المناجاة حاجة لروح المرء ونفسه وفي أثناء المناجاة تمنح المناجي حالة من السعادة تأتي من لغة المناجاة وشكلها ومضمونها. وفقًا لكارل، فإن أساس المناجاة مبني على مبدأي الفقر والحب. (شريعتي، ٢٠٠٤، ٢٤، ٢٦، ٣٧) بالنسبة للطالب الحقيقي، فإن هذا التمتع الروحي بالمناجاة هو الدافع الرئيسي لمناجاة الله والتماسه والدعاء له والاستجابة للدعاء فرع لها (سلمانبور، ٢٠١٣، ٣٨)

بناءً على التعاليم الدينية فإن الله تعالى قد أذن بالدعاء: «وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَ تَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَ تَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ» (الرسالة ٣١)

ويرى أمير المؤمنين (ع) أنه من المستحسن أن ندعو إلى الله ونسأله في كل شيء، سواء كان الإنسان مؤمنا أو مذنبا. (الخوئي، ٢٠٠٦، ٢٠/ ٢٠) والدعاء من أجل أهداف الدنيا والآخرة مطلوب. (كاشاني، ١٩٩٩، ٢/ ٣٨١)

المناجي والداعي شخص متميز ونخبة يعبد الله حبًا به، يستمتع بالحديث معه والوقوف أمامه" (شريعتي، ١٣٨٣، ٢٦) وجاء في القرآن أن الله ذاته يدعو إلى الحوار لعرض احتياجاته وطلب الهدى والمغفرة من الله. الدعوة الإلهية للدعاء والمناجاة حميمة لدرجة أنها تدفع أي مخاطب لذلك باستمرار. يمكن العثور على أوضح دليل على هذه الدعوة الحميمة في الآية ١٨٦ من سورة البقرة الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾؛ (البقرة/ ١٨٦)

لا شك في أن هذه العلاقة المتبادلة التي تربط فيها المناجاة بين الداعي والمدعو ممتعة للطرفين. يشير الإمام

الصادق إلى هذه الحقيقة قائلًا: «إِنَ الْمُؤْمِنَ لَيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي حَاجَتِهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ: أَخِّرُوا إِجَابَتَهُ؛ شَوْقًا إِلى صَوْتِهِ وَ دُعَائِهِ» (الكليني، ١٤٢٩، ٤/ ٣٤٧)

"الدعاء ليس مهدئًا كالمخدر، إنما يضفى سكينة هى وليدة العطش والحاجة والاضطراب في الروح الإنسانية وتلبية حاجات أوجه القصور التي تكمن في عمق الطبيعة البشرية. وهذا يعني أن الدعاء خلافًا للتخدير الذي يؤدي إلى الضعف والموت، يكون نشطًا ومبهجًا وعاملًا يوجد المشاعر الغامضة والعواطف والمواهب داخل الروح البشرية" (شريعتي، ٢٠٠٤: ٤٧ و ٤٨)

ويرى الأستاذ مطهري أن الدعاء إذا تجاوز حركة اللسان إلى التناغم بين القلب واللسان والروح، فسوف تكون له معنوية عميقة، كما لو أن الإنسان يغرق في النور فيشعر أنذاك بكرامة جوهر الإنسانية (مطهري، ١٣٧٨، ٢٣/ ٧٨٣)

لا تتعلق المناجاة والدعاء بالدعاء لله فحسب، بل تتعلق أيضًا بمعرفته؛ إنها حوار كذلك؛ إنها محادثة متبادلة وفي هذه المحادثة والعنوان يخلق الإنسان، يتم تطهير الروح وتعزيز الإيمان. (سروش، ١٣٧٥: ٨) إن كمال الذات هو أن تنقطع بنفسها وتترقى (مطهري، ١٣٧٨، ٢٣/ ٧٨٣) وفي هذه الرحلة إلى قمم المعنى يدعو المرء ربه بلسان زاخر بالخشية. إن الإحساس الصوفي للدعاء وحالة المناجاة في إطار قوة المكاشفة والشعور الأخلاقي والشعور بالجمال ونور العقل، يمنح الشخصية الإنسانية ازدهارًا زاخرًا بالمعاني. (شريعتي، ٢٠٠٤: ٥٠ و ٥١)

ويرى مولوي أن كل دعاء هو في ذاته نتاج رحمة الله تعالى، فيجب على الإنسان إذًا أن يفتح أبواب وجوده عليه. يرى مولوي أن الدعاء فانوس أضاءه الله في هذا العالم ليخرج الإنسان من الظلمات إلى النور باللجوء إليه.

حرمت آنكه دعا آموختى
در چنين ظلمت چراغ افروختى
(مولوي، ١٣٨١: ٣/ ٤٣٩)

يعتبر كذلك أن حركة العاشق نحو المعشوق حركة ذاتية لا تبدأ منه ويعتقد أن المعشوق هو من يبحث عن العاشق قبل أن يبدأ العاشق بالبحث عنه (علمي، ١٣٨٨: ٥٢)

هيچ عاشق خود نباشد وصل‌جو
كه نه معشوقش بود جوياى او
(مولوي، ١٣٨١: ٣/ ٥٣٤)

النتيجة

أ) للدين طريقة معينة لنقل بعض تعاليمه وهذه الطريقة منفصلة عن طرق المحادثة في العرف الإنساني. وإن لغتي الدين و هج‌البلاغة في موضوع الدعاء هي لغة مجازية تتجاوز العرف ولغة الدعاء والعبادة في جميع الأديان والمعتقدات المقدسة تختلف عن لغة التعاليم الأخرى.

ب) اللغة المجازية أبعد ما تكون عن الإهمال والتساهل في التعبير عن بعض الحقائق الدينية السامية والأدعية الدينية. ففي مثل هذه الحالات للوصول إلى المعنى الدقيق للمفاهيم الدينية يجب على المرء أن يذهب أبعد من ذلك ويتبع طريقة تختلف عن الطريقة المعتادة للحوار العام.

ج) في وجهة النظر التوحيدية *لنهج‌البلاغة*، ارتبط الإنسان بالدعاء منذ البداية وللدعاء منشأ فطري وله لغة مشتركة بين البشر.

د) اليقين والصدق والتعبير الفطري والتعبير عن العاطفة والمشاعر والإخلاص والتوحيد في اللغة والمتعة والسرور هي من السمات البارزة للغة الدعاء في *نهج‌البلاغة* والتي تضعها في موضع اللغة المجازية.

الهوامش

١. لمزيد من المعلومات حول الأدعية انظر الخطب: ٢٣، ٢٥، ٤٦، ٦٤، ٧٢، ٧٨، ٩١، ١٠٦، ١١٥، ١٢١، ١٢٤، ١٤٣، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٩٠، ١٩٣، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٢٧؛ الرسائل: ١٥، ٥٣؛ الحكم: ١٠٠، ٢٧٦، ٤٧٢.

٢. ألكسيس كاريل (Alexis Carrel) كان طبيبًا جرّاحًا فرنسيا، ولد في ٢٨ يونيو ١٨٧٣ وتوفي في ٥ نوفمبر ١٩٤٤ في باريس، حصل على جائزة نوبل في الطب عام ١٩١٢، ومن أشهر كتبه كتاب *المناجاة* وكتاب *الإنسان، ذلك المجهول* الذي يضم تجاربه عن الإنسان والحياة.

المصادر

القرآن الكريم.

نهج البلاغه.
آشوري، داريوش (١٣٩٢). *اللسان المفتوح؛ دراسة في اللغة والحداثة*، طهران: مركز للنشر.
ابن ابى الحديد، عزالدين ابو حامد (١٣٣٧). *شرح نهج البلاغة*، مصحح محمد ابوالفضل ابراهيم، قم: مكتبة آية الله مرعشي النجفي.
ابن فهد الحلى، احمد بن فهد (بلاتا)، *عدة الداعي و نجاح الساعي*، تصحيح احمد موحدي القمي. قم: مكتبة الوجداني.
ابن منظور، محمد بن مكرم (بلاتا). *لسان العرب*، بيروت: دار الصادر.
ابن ميثم بحرانى، ميثم بن على (١٣٦٢). *شرح نهج البلاغة*، مكتب نشر الكتب.
أحمدي، بابك (١٣٧٨). *بنية النص وتفسيره*، طهران: مركز للنشر.
اختيار، منصور (١٣٤٨). *علم الدلالات*، طهران: جامعة طهران.
أمين، احمد (١٩٧٢). *النقد الأدبي*، القاهرة: مكتب النشر.
أيازي، سيدمحمدعلي (١٣٧٦). «بحث عن لغة الناس في القرآن»، *رسالة المفيد*، الرقم ٩، صص٥٨-٣٥.
باطني، محمدرضا (١٣٨٥). *أربعة خطابات في اللغة*، طهران: دار آغه.
باقري، مهري (١٣٨١). *مقدمات علم اللغة*، طهران: قطره.
بالمر، ريتشارد (١٣٧٧). *التأويلات*، ترجمة سعيد حنايي كاشاني، طهران: هرمس.
بورعلى‌فرد، محمدمهدي (١٣٧٩). «عالمية لغة القرآن»، *صحيفة مبين*، الرقم ٢٣، صص٤٥-٣٥.
بورنامداريان، تقي (١٣٦٧). *ألغاز وقصص التشفير في الأدب الفارسي*، طهران: العلمية والثقافية.
جاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (بلاتا). *البيان و التبيين*، بيروت: دار الفكر العربي.
حافظ، شمس‌الدين محمد (١٣٧٩). *ديوان شعري*، بريشة مجيد حميدا، البحث والتحقيق من اشرف باقرى، طهران: منشورات حميدا.
خراسانى، محمدكاظم (١٤١٢ق). *كفاية الاصول*، قم: مؤسسة النشر الاسلامى.
خميني الموسوي، روح‌الله (١٣٨٩). *صحيفة الامام*، طهران: دار الإمام الخميني للنشر.
الخوئى، ميرزا حبيب‌الله (١٣٨٥). *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*، مصحح سيدابراهيم ميانجى، طهران: مكتبة الاسلامية.
الراغب الاصفهانى، ابى القاسم حسين بن محمد (١٤٢٦ق). *المفردات فى غريب القرآن*، تحقيق و ضبط محمد خليل عيتانى، لبنان: دارالمعرفة.
الراوندى، قطب‌الدين سعيد بن هبةالله (١٤٠٧ق). *الدعوات*، قم: منشورات مدرسة الامام المهدي (عج).
ـــــــ. (١٣٦٤). *منهاج البراعة في شرح نهج‌البلاغة*، مصحح سيدعبداللطيف كوهكمرى. قم: مكتبة آية الله مرعشي النجفي العامة.
روحاني‌نجاد، حسين (١٣٨٨). «لغة التصوف»، *قبسات*، الرقم ٥٤، صص٧٠-٤٩.
روليا، الكساندر رويانويتش (١٣٧٦). *اللغة والإدراك*، ترجمة حبيب‌الله قاسم‌زاده، طهران: منشورات فرهنجان.
الزَّبيدى، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسينى (بلاتا). *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
سبحانى تبريزى، جعفر (١٣٨٧). *الموجز فى اصول الفقه*، قم: مؤسسة الإمام الصادق (عليه‌السلام).
السرخسي، على بن ناصر (١٣٧٣). *أعلام نهج البلاغة*، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
سروش، عبدالكريم (١٣٧٥). *حديث العبودية والمحبة*، طهران: معهد صراط الثقافي.
سعيدي روشن، محمدباقر (١٣٨٣). *تحليل اللغة القرآنية ومنهج فهمها*، قم: معهد أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي ومعهد البحوث في الحوزة والجامعة.
سلمان‌بور، محمدجواد (١٣٩٢). *لغة الصلاة في الصحيفة السجادية*، طهران: جامعة علوم القرآن الكريم والتعليم.
ـــــــ. (١٣٨١). «العرفية والعقلانية للغة الدين في مجال التشريع والتقنين»، *قبسات*، الرقم ٢٥، صص٥٦.٥٠.
ـــــــ. (١٣٨٤أ). «تحليل لغة الصلاة»، *الفكر الديني*، الرقم ١٥، صص٤٠-٢١.
ـــــــ. (١٣٨٤ب). «تكوين ثقافة الإمام السجّاد (ع) بلغة الصلاة»، *الفكر الديني*، الرقم ١٧، صص١٠٦.٨٥.
شاكرين، حميدرضا (١٣٩١). «شمولية جوانب لغة القرآن الأربعة ومخرجاتها المنهجية»، *الفكر الديني الحديث*، الرقم ٢٨، صص ٢٤-٩.

شبستري، محمود بن عبدالكريم (١٣٨٢). *غولشن راز*، من تحرير محمد حماصيان، كرمان: خدمات كرمان الثقافية.
شريعتى، على (١٣٨٣). *نيايش، مجموعة الأعمال*، طهران: منشورات إلهام.
الشريف الرضي (بلاتا). *نهج‌البلاغة*، التحقيق: صبحي الصالح، قم: دار الهجرة.
شهيدي، شهاب (١٣٩٤). «لغة الدين من وجهة نظر العلامة الطباطبائي»، *جاويدان خرد*، الرقم ٢٨، صص٨٤-٦١.
الطباطبايى، محمدحسين (١٣٩٠ق). *الميزان في تفسير القرآن*، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
طهراني، جواد (١٣٦٩). *ماذا يقول الصوفي*، طهران: مؤسسة بعثت.
علمي، قربان (١٣٨٨). «الصلاة في فكر الرومي»، *مجلة التصوف*، السنة الأولى، الرقم ١، صص٦٠-٣٧.
علی‌تبار فيروزجايى، رمضان (١٣٨٨). «الطبيعة النموذجية للغة الدين والقرآن»، *دين الحكمة*، الرقم ٢، صص٣٤-٧.
عنايتي‌راد، محمدجواد (١٣٧٦). «لسانيات الدين في نظر الميزان»، *دراسات قرآنية*، العددان ٩و١٠، صص٥٣-٢٨.
الغروى النائينى، ميرزا محمدحسين (١٤١٢ق). *فوائد الاصول، تقريرات شيخ محمد على كاظمى*، قم: مؤسسة النشر الاسلامى.
قدردان قراملكي، محمدحسن (١٣٨١). «لسانيات الدين في نظر الميزان»، *دراسات قرآنية*، الرقم ٣، صص٨٧-٦٥.
كاسيرر، إرنست (١٣٨٧). *اللغة والأسطورة*، ترجمة محسن ثلاثى، طهران: منشورات مروارید.
كاشاني، ملافتح‌الله (١٣٧٨). *تنبيه الغافلين و تذكرة العارفين*، مصحح محمدجواد ذهني طهراني. طهران: بيام حق.
كزازي، ميرجلال‌الدين (١٣٧٢). «الرمزية في الأدب»، *مجلة الخيال*، الرقم ١٣، صص٢١-١٦.
كلانتري، ابراهيم (١٣٧٧). «نظرية التفرقة التعبيرية بين لغة القرآن ولغة العلم»، *بينات*، الرقم ١٩، صص٨٤-٧٥.
الكلينى، محمد بن يعقوب (١٤٢٩ق). *اصول كافى*، ترجمه سيدجواد مصطفوى، قم: دار الحديث.
الكيذرى، قطب‌الدين محمد بن حسين بيهقى (١٣٧٥). *حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة*، مصحح عزيزالله عطاردى. قم: مؤسسة *نهج البلاغة*.
لاتز، جان (١٣٨٦). «اللغة والإنسان»، ترجمة ف. ب، *اللغويات، مقتطفات من مجلة الثقافة والحياة*، صص١٠٧-٧٧.
لبيبي، محمدمهدي (١٣٨٧). *حياة وموت المؤلف، نظرة نقدية لآراء رولان بارت*، طهران: أفكار للنشر.
مصباح يزدي، محمدتقي؛ لغنهاوزن، محمد (١٣٧٥). «المائدة المستديرة في لغة الدين»، *المعرفة*، الرقم ١٩، صص١٨-٨.
مطهرى، مرتضى (١٣٩١). *نظرة فى نهج‌البلاغة*، طهران: صدرا.
ـــــ. (١٣٧٨). *مجموعة أعمال الشهيد مطهري*، طهران: صدرا.
مغنيه، محمدجواد (١٣٥٨ق). *فى ظلال نهج البلاغه*، بيروت: دار العلم للملايين.
موسوي اردبيلي، سيدعبدالكريم (١٣٧٥). «مشكلتنا في فهم القرآن»، *أمة مفيدة*، الرقم ٨، صص٢٤-٤.
مولوي، جلال‌الدين محمد (١٣٨١). *مثنوي معنوي*، وفقًا للنسخة المنقحة من رينولد نيكلسون، طهران: بهنود.
مهرجان، آروين (١٣٧٧). *ديالكتيك المفاهيم*، أصفهان: دار فردا للنشر.
ناجي أمين، محمدهادي؛ جعفرى، سيدمحمدمهدى؛ ربانى خواه، احمد (١٣٩٧). «خصائص اللغة العرفية في نهج‌البلاغة»، *علوم الحديث*، الرقم ٨٨، صص١٩٧-١٦٦.
النايينى، محمدحسين (بلاتا). *اجود التقريرات*، مقرر ابوالقاسم خويى، قم: مكتبة مصطفوي.

تحلیل زبان‌شناسانه دعا در *نهج‌البلاغه* از منظر زبان‌شناسی اجتماعی

احمد ربانی‌خواه[۱]، محمدهادی امین‌ناجی[۲]، مصطفی دلشاد تهرانی[۳]

تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۵/۲٦ **تاریخ پذیرش: ۱۳۹۸/۲/۲۱**

۱. . دانشجوی دکتری و عضو هیأت علمی دانشگاه پیام نور (نویسنده مسئول)؛ rabbani_kh@pnu.ac.ir
۲. دانشیار دانشگاه پیام نور؛ ma_najee@pnu.ac.ir
۳ . استادیار دانشگاه قرآن و حدیث، تهران؛ delshadtehrani@gmail.com

چکیده

آموزه‌های نیایشی نهج‌البلاغه از گزاره‌های ژرف و شگرف معرفتی این کتاب ارزشمند است. تحلیل این گزاره‌ها و تبیین شباهت‌ها و بیان تفاوت‌های زبانی میان این آموزه‌ها با دیگر عبارات نهج‌البلاغه می‌تواند در دست‌یابی به فهم کارآمد از آموزه‌های علوی یاری رساند. پژوهش پیش‌رو، ضمن نگاهی به انواع زبان از منظر زبان‌شناسی اجتماعی با ارائه تعریفی جامع از «زبان عرفی» و «زبان فراعرفی» با طرح این پرسش که «آیا زبان دعا در نهج‌البلاغه زبان عرفی است یا فراعرفی؟» با روش توصیفی و تحلیلی و استفاده از منابع کتابخانه‌ای در حوزه زبان‌شناسی و استناد به آموزه‌های حضرت امیر (ع) در نهج‌البلاغه، فراعرفی بودن زبان دعا در نهج‌البلاغه را اثبات می‌کند. همچنین با توصیف شایسته‌ای از زبان نهج‌البلاغه در زمینه دعاها و مناجات، «یقین‌مداری و حقیقت‌گویی»، «فطری بودن بیان»، «نمایش عاطفه و احساس»، «خلوص و یکتایی زبان» و «لذت‌خیزی و سرورانگیزی» را از ویژگی‌های بارز زبان دعا در نهج‌البلاغه معرفی می‌نماید.

کلید واژه‌ها: زبان عرفی، فراعرفی، دعاهای مأثور، نهج‌البلاغه، زبان‌شناسی اجتماعی.